

ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر. ودعا اسمه يسوع(متى1:1-25)

آية تختتم الإصحاح الأول من إنجيل متى لتفتح صراعاً عقائدياً بالإضافة إلى تقويلات وتفسيرات مختلفة ومتناقضة.

فبينما تصر الكنيسة منذ البدء بلسان آبائها القديسين على تفسير واحد لهذه الآية ألا وهو بتولية مريم العذراء تقوم بالمقابل جماعات أخرى بالتكلم على عدم بتوليتها وبالتالي إنجاب مريم إخوة ليسوع من رجلها يوسف معتمدين بذلك على تفسير خاطيء ومنحرف لهذه الآية بالتحديد وداعمين هرطقتهم بآيات أخرى من العهد الجديد تشير على إخوة ليسوع(متى13:55) ليضلوا الكثير من المؤمنين وينسفون تسليم الكنيسة الشريف وما عاشته الكنيسة بإيمان آبائها القديسين منذالعصور الأولى للمسيحية .

ما سر هذه الآية؟ كيف نفهمها؟ و لماذا تصر الكنيسة على بتولية مريم وترفض أن يكون ليسوع إخوة في الجسد كسائر البشر؟ هل تحنقر الكنيسة الزواج الطبيعي؟ هل العلاقة الجنسية بين الزوج والزوجة شيء دنس؟ هل من المعيب أن يكون قد حدث علاقة جنسية بين والدة الإله وخطيبها القديس يوسف؟ هل أكملتا حياتهما كسائر المتزوجين في العالم بعد أن أنجبت مريم ابنها يسوع؟ هل ليسوع إخوة من أمه مريم؟... وأسئلة أخرى ومتعددة قد تخطر على فكر كل واحد منا. ويبقى السؤال الأساسي: ما هو التفسير الحقيقي لهذه الآية؟
أولاً: يجب أن ندرك أن الكتاب المقدس وبالأخص العهد الجديد منه لم يكتب باللغة العربية لكي نتوقف على تقويلات وتفسيرات كلمة حتى، والترجمة العربية هي ترجمة للغة اليونانية أي اللغة التي كُتب فيها الإنجيل، لذا يجب على المفسر الحقيقي أن يكون ملماً في اللغة اليونانية أو أن يستشير صاحب إختصاص في هذا المضمار.

فالكلمة اليونانية هي EWS OU وهي تساوي ضمناً EWS TOU XRONO أي "إلى أن" بمعنى "حتى الزمن الذي ولدت فيه" وليس مستلزماً بدء حالة جديدة. فمثلاً: ولم تلد ميكال ابنة شاول ولدا(حتى) إلى يوم ماتت(2صم6:23) فهل هذا يعني أنها أنجبت ولداً بعد أن ماتت؟.

ثانياً: كلمة حتى في اللغة العربية لها خصائصها اللغوية وقد تأتي بتفسيرات مختلفة حسب تركيب الجملة ولا شيء قاطع فيها. فهي تنقل مثلاً حالة ما قبلها إلى حالة ما بعدها بحال عدم وجود قرينة.

وهناك آيات أخرى في الكتاب المقدس تشهد على ذلك:

نقرأ في المزمور 1:110 " قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك. هل حتى تعني هنا أن الأعداء سيقوون على الربّ بعد أن يجلس عن اليمين؟. نقرأ أيضاً في سفر التكوين: " وأرسل نوح الغراب فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض(تك8:7) ويأتي النص ليشير بوضوح أن الغراب لم يعد بعد أن نشفت المياه. وفي العهد الجديد نقرأ ما قاله الربّ يسوع لتلاميذه في عظة الجبل: " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل(مت5:18). ولا حاجة للقول أن كلام الناموس لا يزول لا قبل ولا بعد. كما نجد في شفاء يسوع للأعمى ووضوح كلّي لكلمة حتى: " فلم يصدّق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر حتى دعوا أبوي الذي أبصر"(يو9:18) ونعرف جيّداً أن اليهود لم يصدّقوا الأعمى حتى بعد أن استدعوا أهله.

إذاً هناك معنى دقيق لكلمة "حتى" حتى لا نقع في التفسير الخاطيء ونبتعد بالتالي عن المعنى الحقيقي للآية الإنجيلية. من هنا حرصت الكنيسة أن لا نقع في الضلال.

ثالثاً: الزواج بالنسبة للكنيسة مقدّس فمذ بدء سفر التكوين والله دعا آدم وحواء أن ينجبا أولاداً. وفي الشريعة الزواج مقدّس. وأخذ العرس أجمل صورته في العهد الجديد في عرس قانا الجليل بحضور الربّ يسوع بذاته وقد سبقه إلى العرس والدة الإله أيضاً. فإذا كان العرس مقدّس والربّ حذر من الزنى فأيضاً العلاقة الجنسية بين الزوجين هي مباركة من الله. إذاً الموضوع لا يتعلّق بقدسية الزواج أو العلاقة الجنسية بين الزوجين بل بالحالة التي كانت مريم فيها. فالله لم يجعل الزواج إجبارياً ولا البتولية إجبارية فهذا شأنٌ يتخذه المرء بملء إرادته وحرّيته. ومريم العذراء لم يكن لها أي رغبة في الزواج وإنجاب الأطفال لأنها

كانت تريد أن تكون مكرّسة كلياً لله، وهذا الأمر يبدو واضحاً وجلياً في الحوار بين والدة الإله والملاك جبرائيل في إنجيل لوقا. فإستغراب مريم أمام الملاك ينافي رغبة أي فتاة مخطوبة يقال لها أنها ستحب وتنجب أطفالاً، وبالأخص أن الملاك قال لها: "ها أنت ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع" (لو 1:31). **فالملاك هنا لم يقل لها ستحبلين الآن بل ستحبلين.** فلو كان في فكر مريم الإنجاب ككل مخطوبة مقدمة على الزواج لكانت فكرت بالموضوع أن الملاك يخبرها عن حالة طبيعية لها بعد زواجها من يوسف. ويأتي جوابها للملاك تأكيد واضح لهذا السياق ليشكل أيضاً حالة نفي مستمر. "كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟". والفعل في اللغة اليونانية لا أعرف رجلاً هو "حاضر مستمر". وفي النهاية لم تقبل مريم أن تصبح حبلى إلا بعد أن عرفت من الملاك أن الحبل سيكون من الروح القدس.

ويطرح السؤال هنا: لماذا إذاً كانت مخطوبة ليوسف؟ كانت العذراء مخطوبة ليوسف لأنه ليس مقبول في الشريعة اليهودية أن لا تتزوج المرأة لأنهم كانوا في حالة إنتظار المخلص بحسب مفهومهم وبالتالي التي ترفض الزواج تعتبر أنها تعيق مجيء المخلص. وإطلاقاً من هذا المفهوم كانت تعتبر المرأة العاقر مغضوباً عليها من الله.

ويبقى أمرين: الأول كان يوسف رجلاً باراً وقد كلّمه الملاك وبالتالي أدرك سر التدبير الخلاصي وأدرك أن من كان في رحم مريم هو إله الصباؤوت. فإنحنى جسداً وروحاً أمام هذا التدبير وسار في نفس روحية مريم. فهل من كان الله بين يديه يعود يهتم بأمور أخرى؟ الثاني: مريم كانت في حالة صلاة مستمرة وقد إستجاب الله لصلواتها وأكملت حياتها مع القديس يوسف خطيبها بالصلاة والتقوى كما يوجد تسليم في كنيستنا يتكلم عن أنه كان رجلاً مسناً وأرملاً وعنده أولاد وقد عهدت مريم إليه لتكون تحت سقف رجل.

نهايةً، ماذا يقصد الذين يقولون عن عدم إستمرار بتوليبتها بعد الزواج؟ لا ريب أنه يأتي ردة فعل أو سوء إدراك أو إنكار دفين لقداسة مريم وشفاعتها. فالكنيسة تصر وتقول أن والدة الإله مريم العذراء هي دائمة البتولية أي قبل وأثناء وبعد الولادة، وكل كلام مغاير لهذا السياق هو مرفوض وهرطوقي ولا يستند على أي دليل قاطع ونهائي. وعبرة إخوة يسوع

في المفهوم العبري تحمل معنًاً واسعاً لتشمل أولاد العم والخال والخالة وحتى الأقارب.
فبشفاعة والدة الإله يا مخلص خُصنا.

www.jesusislife.name